



GETTY IMAGES

وددتُ و أنا أقف أمام تضحيات الشعب السوري العظيم أن أجاز النثر إلى الشعر، فالأعلى بالجناحين تُدرك، والقلم جناح، والبنديقة جناح، وشعبٌ بلغ الذرى بهما معاً لا يمكن تلخيصه و اختصاره بحفنة متباينة من الحروف، لاسيماً أنني لا أنتأ على سمهريّ كسيف الدولة الحمداني. وأياسر لعلي أفلح، لا رغبة في مدح يعلو الشعب السوري فوقه، بل حرصاً على أن أشهد، و كما أقف أمام الله و كتابي بيمني، أحرص أن أقف أمام معجزة الشعب السوري و كتابي بيمني أيضاً.

فالله قد يغفر إن أخطأت أو قصرت، لكنَّ تاريخ الشعوب يحكم و يحاكم، و يغرِّب كلَّ من لطخ صفحاته، أو كان عبئاً عليها أو مرّ دون أن يترك بصمة، و لأنَّ التضحيات عظيمة و غالبة و صافية كنهر سلسيل، كان لابدَّ أن نحرص كلَّ الحرص أن لا تشوبها شائبة، و لا يعكر صفوها طفليات و جرائم فتاكة. و لعلَّ حرب الشائعات واحدة من أبرز ما يشوب معارك الشعوب في سبيل الحرية. الشائعات أداة الضعف، هي نوع من الكذب يستخدمه العدو لتدمير الخصم، ويسمونه بأسماء كثيرة، منها: حرب الأعصاب، وال الحرب النفسية. و مما يدل على أنه من أنواع الكذب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَفَىٰ بِالْمُرْءِ
كَذِبَّاً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" رواه مسلم. ومن صور الشائعات في تاريخ الإسلام شائعة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم أحد، و التي زرعت الغمَّ في قلوب الصحابة ، وبثَّت فيهم روح الهزيمة وأوهنت قوتهم، فمن وافق لا يدرى ما يفعله، ومن معتزل للمعركة فارِّ من أرضها، ومن يائس من الحياة قائل: "ما فائدة العيش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم". و من صورها أيضاً حادثة الإفك المعرفة. إنَّ إطلاق الشائعات فعل غير محمود ، وقد ورد في القصص القرآني أمثلة كثيرة عليها، فقد أشعَّ قومٌ نحوَهُمْ لفتَّ النظر إليه والتفضيل على قومه، وأشعَّ قومٌ هُودٌ عليه السلام آنَّ سفيهٍ؛ ولقد علموا أنهُمْ أعلمُهم وخيرُهم وأنَّهم أولى بذلك منه، وأشعَّ فرعون عن نبي الله موسى: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيهِ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

ابتليت الثورة السورية اليوم بحرب الشائعات، و التي تتجلى بمحورين :
ساحرٌ مجنون و هو من قال الله تعالى فيه (و إنك لعلى خلق عظيم) و (و ما ينطق عن الهوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) ! وقد
[الشعراء/35]. ولا يخفى على مسلم ما قاله أعداء الله وأشاعوه من شأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بسِحْرِه

المحور الأول يتركز حول ما يروّجه النظام الأسدي من شائعات عامداً متعمداً لإثارة البلبلة و القلاقل و فتح الثغرات في صفوف الثوار و خلق الفتنة بين صفوف المعارضة و ما لذلك كله من تأثير سلبي على روح الشعب و الحراك الثوري، و وحدة الصفّ و ثبات الموقف النضالي، و قد كرس لذلك جيشاً من الشبيحة يعمل في العالم الافتراضي و في القنوات الإعلامية الرسمية للنظام و أغوانه، و على الأرض بحيث يبثّ السّمّ في الدّسم، و قد تمرّس أصلاً بفنون الاستخبارات و بثّ الفتنة بكلّ أنواعها و ليس آخرها شائعات وجود عناصر من القاعدة تقوم بأعمال تفجيرية إرهابية لصالح فصائل العصابات المسلحة المزعومة الخادمة للمعارضة السورية و الحراك الشعبي الثوري، و شائعات اختطاف بعض اللبنانيين في حلب على يد الجيش السوري الحرّ (أو العصابات المسلحة المزعومة) على خلفية طائفية مما أثار حفيظة المجتمع الدولي عموماً و اللبناني خصوصاً، فكانه ينقل معركته الداخلية إلى لبنان بعد أن عجز عن تطويقها و كسب رهانها، فصرف الأنظار عن الداخل السوري ليشغل العالم بمهاراته و قلائل طائفية داخل لبنان ليتفرّغ للبطش و القتل و إعمال آلة الذبح داخل سوريا دون رقيب. و لطالما كانت لبنان مسرحاً للفتن المجترحة من قبل عصابات الأسد، يروجونها بغية إيجاد ذريعة للتدخل بالشأن اللبناني و إحكام السيطرة على مقدراته و مصيره و قراراته. حتى وصف اللبنانيون الوجود السوري في لبنان بالاحتلال. و شائعات أخرى تدور حول مقتل بعض قيادي النظام مثل شائعة موت ماهر الأسد التي تكررت مراراً فمات و عاش و مات عاش حتى قلنا يحي العظام و هي رميم. و النظام هو المستفيد الأول لو نحن صدقنا و انجررنا وراء هذه الحملات التضليلية بلا ثبات و تحقق فنخالق بذلك قول الله تعالى : " يا أيّها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسقٌ بِنَبْيٍ فَبَيِّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قوماً بِجَهَالَةٍ فَتَصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ".

أما المحور الثاني فيرتكز على الجانب الثوري الشعبي و ما بُثَّ فيه من شائعات قد لا تكون مستهدفة بذاتها بقدر ما هي هفوات ناجمة عن ضحالة المعرفة و الجهل بالأحداث و كثرة القيل و القال و عدم القدرة على التأكيد و ضبط المعلومة و التحري من مصداقيتها أو حدودها. و خير مثال على ذلك ما شاع في الآونة الأخيرة عن عملية كتبة الصحابة و قيامها باستهداف عناصر خلية إدارة الأزمة السورية. و إن كنا نثق أنَّ العملية تمت فعلاً، بشهادة و بيان منفذتها إلا أننا إلا الآن غير قادرین على ضبط حجم الخسائر التي مُنِي بها النظام الفاسد و مجرميه، و مازلتـا ندور في فلك القيل و القال: قالوا دخل ستة من أفراد خلية الأزمة إلى مشفى الشامي بعد تعرّضهم لعملية نوعية على أيدي أبطال سرية الصحابة و قالوا على الجزيرة تم تأكيد مقتل قيادة خلية الأزمات من قبل قيادة الجيش الحر ومن ضمنهم فلان و فلان... و قالوا الذي نفذ العملية متعاون مع كتائب الصحابة و هو من أبناء الجولان المباع و اسمه جميل العبد الله، و قالوا بحدوث انشقاقات كبيرة في صفوف الجيش الأسدـي على خلفية حادثة استهداف عناصر قيادة الأزمة، و قالوا تمَّ التأكـد من وفاة آصف شوكت و دواوود راجحة و سعيد بخيتان، و هشام بختيار، ثمَّ قالوا آصف حـيـ يرزق و قد تحدث مع أحد المشايخ الذين على تواصل معه، و قالوا خلافات عائلية حادة بين أفراد عائلة الأسد و اتهامات موجهة من بشرى لأخيها بشار بالقصير و الإهمال الذي تسبب بوفاة زوجها، و قالوا بشار في حالة رعب و تشتت و عدم قدرة على التركيز و قالوا بشار يستقل طائرة من مطار المزة و يطير نحو جهة مجهولة، و قالوا انشقاق في الحرس الجمهوري و اشتباكات حادة مع الفرقـة الرابعة، و قالوا أن اللقاء التلفزيوني مع محمد الشعار الذي بـَثَّه قناة الدنيا تكذيباً لحادثة الاستهداف لقاء مفبرك و قديم، و قالوا ... لاشك أنَّ ثمة ما هو صحيح فيما قيل، ولكن ليس هناك سبيل لمقياس مدى الصدق فيه، و لاشك أنَّ العصابة الأسدـية إلى زوال و أنها تهـالـكت، و

لأشك أنَّ الروح المعنوية بين ضباط و عناصر الجيش الأسدية في الحضيض وقد كثُرت بينهم المناحرات التي قد تصل إلى استخدام السلاح ضد بعضهم البعض، فمنهم من يتمنى الانشقاق بعد ما رأى بأمِّ عينه من جرائم النظام الأسدية لكنه يخشى الانتقام منه ومنه أسرته، و منهم من أصبح يتمرد على قادته و يرفض تنفيذ الأوامر و الخروج بغير حماية كافية مدعمة بالسلاح و العتاد، و منهم من اكتشف أنه يدافع عن شخص ساقط لا عن وطن، و أصبح يتمنى العصيان و الانشقاق لو لا أنه مثل بجرائمها و لا يستطيع التراجع دون ضمانات كي يفلت من عقاب الشعب على ما اقترفت يداه من ظلم و تكيل، و الحق يقال إنَّ العصابة الأسدية قد أصبحت عبءاً كبيراً حتى على رجالها و أبناء طائفتها و الموالين لها و شبيحتها و على المجتمع الدولي قاطبة، و قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السقوط. و ثمة دروسٌ و عبرٌ في كلِّ ذلك، أولها أنْ نكفَّ عن نشر الشائعات أو المساهمة في نشرها، كي لا نصبح كالراغي الكتاب، ظلَّ يستنجد أهل القرية لتنقد خرافه من الذئب و هو يكذب، حتى جاء الذئب فعلاً و أكل خرافه و لم ينهض لنجدته أحد، و ماهر الأسد الذي مات و عاش مرات ، سيموت يوماً و لن نصدق أنه مات و لو رأيناه رأي العين، و ثانية، أن لا نصدق الشائعات للأطفال السذج دون تصفيتها، وثالثها، أن لا نكذب خبراً ورد من مصدر موثوق متواتر مع مصادر أخرى تؤكده، كما حصل في ردود الأفعال تجاه تصريحات المكتب الإعلامي للجيش الحر، فقد صدقناه حين تبني عملية خلية الأزمة و كذبناه حين أنكر اختطاف اللبنانيين في حلب دون دليل على هذا و ذاك، فالتصديق بغير دليل سذاجة و التكذيب بغير دليل قنوط و يأس، فلا نستكبر انتصار جيتنا الحر و نغبط أنفسنا حق الفرح، و لا نمضي خلف الشائعات و نغمض عيناً على الحقيقة، و رابعهما علينا أن نتذكر جميعاً أن دربنا إلى شمولية النصر طويلة، و كلَّ درب تبدأ بخطوة ستنتهي و إن كانت طويلة صعبة عسيرة، و محفوفة بالمخاطر و مزروعة بالأشواك، و سواء قتل ماهر الأسد و أصف شوكت و بختيار و راجحة و بخيتان أم لم يقتلوا، معركتنا ليست معهم فهم مجرد أذناب و هدفنا الكبير هو رأس الأفعى، و حتى حين يقتل بشار أو ينتحر، فلن تقف الثورة لأنَّها ثورة شاملة ضدَّ الظلم و الفساد بكلِّ أشكاله و صوره و رموزه. إنَّ معركتنا في الوطن مستمرة حتى نعيد لسوريا وجهها الأموي المشرق، و وسيلة إلى تحقيق ذلك جياد أصيلة دخلت حلبة السباق و لن تخرج حتى تصل إلى منتها و الرهان عليها كبير، لأنَّها من مطلع الشمس أشرقت، تريد الخروج من ظلمات الديجور، وسط الحرائق، و الدخان، و المستنقعات الآسنة العفنة، مضربة بدماء معركتها، تحمل بيدها مشعل الحرية، و باليد الأخرى راية الحق و العدل و الكرامة، و قد دفع جيادنا ثمناً غالياً، و ما يزالون على استعداد للدفع، ما دامت الحياة كفاحاً، و مadam الكفاح ألقاً، و مadam الألق مصباحاً منيراً، أجسادنا سراجه ، و دمائنا زيته المقدس.

المصادر: